10- ابن عذارى، البيان المغرب، دار الثقافة بيروت 83. 241/2.

11- المقري، نفح الطيب 88/2.

12- ذكر المقري في نفح الطيب أنه كان في بيت المنبر مصحف عثمان رضي الله عنه، وكان قد خط بيده نسخا أرسلها الى الأمصار، وربما نقل من الشام الى الأندلس، وعليه أغشية الديباج وحلية الذهب مكللة بالدر والياقوت، وهو على كرسي من العود الرطب المثبت بمسامير الذهب، وقد آل المصحف الى الموحدين ثم الى بني مرين في مراكش.

13- أزيلت القباب القديمة عدا القبة الرئيسية الوسطى التي تظلل الهيكل الرئيسي الذي أنشئ في وسطه، وأنشئت على طول جوانب الجامع الأربعة في الداخل هياكل كثيرة نصبت فوقها الصلبان وتماثيل القديسين وصورهم، وأزيلت المنارة وأقيم فوق أنقاضها برج الأجراس أو برج النواقيس، وارتفاعه ثلاثون مترا.

14- التروبادور هم شعراء العصور الوسطى الأوروبية ظهروا في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي في جنوب فرنسا ووسطها وعاشوا في بلاط الأمراء والملوك يتغنون بالحب، وقد يكون التروبادور ملكا أو أميرا، يطلق عليهم بالإسبانية Trovador تروفادور، وبالفرنسية Troubadour تروبادور، إن ورد في لغة الجنوب Trouvers، تروبير إن ورد في لغة الشمال.

وهناك طائفة من المنشدين حوجلارس Juglares بالإسبانية، وجونكلير Jongler بالفرنسية يسلون الناس بالغناء والرقص، وحكاية قصص البطولة وهم من العامة.

15- طوق الحمامة ص143.

16- مريم بغدادي- شعراء التروبادور ص29.

17- طوق الحمامة ص13.

18- شعراء التروبادور ص27.

19- نفح الطيب 26/2.

20- أ. ليفي بروفنسال "اسبانية المسلمة في القرن العاشر" ص233.

الدكتور عبدالحميد حاجيات

تلمسان مركز الاشعاع الثقافي في المغرب الاوسط

معهد الثقافة الشعبية
جامعة تلمسان
الجزائر

تلمسان مركز الاشعاع الثقافي في المغرب الأوسط

لا شك أن مما يلاحظ في بلادنا من اهتمام الكثير بالهوية الثقافية يجعلنا نلتفت، بمزيد من الإمعان والتدقيق، الى دراسة القضايا المتعلقة بالمجال الفكري، والاشكاليات المطروحة حولها. والحديث عن مراكز الاشعاع في المغرب العربي يتطلب تسليط الأضواء على تطور ثقافتنا الوطنية في مختلف العصور، والتعرض لمميزاتها وخصائصها، وعوامل نشأتها وازدهارها، وما تلا ذلك من فترات مظلمة في عهد الاستعمار، وصفحات مشرقة أثناء النهضة المعاصرة. ولذا فان التعرف على العوامل التاريخية والحضارية، التي أثرت في تطور ثقافتنا، يشكل جانبا هاما للأبحاث التي ينبغي القيام بها في هذا المجال، لأنه يساعد على تعليلها وايضاح بعض نقاط الغموض التي لاتزال عالقة بها، وتقييم تأثيراتها ونتائجها بكل موضوعية ونزاهة.

والتعرف على المراكز التي ساهمت في الاشعاع الثقافي من أهم المحاور التي تندرج ضمن هذه الاهتمامات، وتشكل زاوية أساسية من زوايا البحث في هذا المجال. ومدينة تلمسان، موضوع حديثنا، تعد من أهم مراكز الاشعاع الثقافي في بلادنا، وبخاصة في العهد الاسلامي، اذ أنها تمثل احدى العواصم التاريخية والحضارية فيها، الى جانب تيهرت وقلعة بني حماد وبجاية وقسنطينة والجزائر العاصمة.

وقبل الشروع في معالجة الموضوع، يبدو من الضروري أن نحدد الغرض من مفهوم الاشعاع الثقافي في حديثنا، علما بأن مدلول الثقافة أصبح يطلق على مختلف مظاهر المعرفة والفنون والسلوكات والقيم والعادات وغير ذلك. والذي نقصده هنا هو الازدهار الفكري والعلمي، وما ينجم عن ذلك من انتاج وابداع وتأثير وتأثر، ومساهمة بناءة في التقدم الحضاري، مما يتجلى من آثار العلماء والأدباء ورجال الفكر. وعليه فان موضوعنا يخص بالدرجة الأولى التعرف على فترة الازدهار والاشارة الى مميزاتها وتقييم تأثيراتها.

أما الاطار الزماني، فان قدم مدينة تلمسان قد يبعث الى افتراض تراكم عناصر ثقافية منذ العهد القديم، ولا سيما في المجال الفكري والديني، الا أننا لا نجد أي أثر لذلك في ما لدينا من المصادر، وكل ما وصل الينا من الأخبار حول ذلك يمت الى الحضارة العربية

الاسلامية ويقع بعد الفتح، في فترات متأخرة نسبيا. ومن الصعب جدا تبيين مراحل نشأة الحياة الثقافية العربية الاسلامية بتلمسان، بما يتطلبه ذلك من الدقة والوضوح، لانعدام المعلومات حول ذلك أو ضآلتها. واذا كنا نعلم أن الاسلام انتشر بسرعة في هذه المنطقة، فنحن نجهل كل شيء عن مراحل التعريب فيها، علما بأن انتشار التعريب شرط أساسي لقيام ثقافة عربية اسلامية فيها.

والذي يلاحظ، في هذا الصدد، هو أن الثقافة العربية قد واجهت أحيانا، في الأقطار المفتوحة، بعض العوائق التي أخرت انطلاقها ونموها. وفيما يخص تلمسان، فان وقوعها في بلاد نائية بالنسبة لجزيرة العرب والشرق الأدنى، وفي منطقة جبلية يصعب فيها الاتصال بالأهالي، بالإضافة الى العائق اللغوي، يفسر ما يلاحظ من بطء نسبي لحركة التعريب فيها، وبالمقارنة بمدن أخرى من المغرب الاسلامي، مثل القيروان والمسيلة وكثير من مدن الأندلس.

ويبدو أن هذه العوائق قد لعبت دورها بصورة فعالة، أيام انتشار مذاهب الخوارج والشيعة والأدارسة والفاطميين، لما طبع هذه التيارات السياسية من نزعة استقلالية ازاء الخلافة السنية. غير أن ظهور بعض العوامل المساعدة لذيوع التعريب بين أهالي تلمسان أخذت تهيء الجو الملائم لنشأة الثقافة العربيةالاسلامية فيها، وبخاصة منذ القرن الخامس الهجري.

وذلك أن صعوبة الاتصال بين العرب القادمين الى المغرب الأوسط والأهالي، أخذت تخف شيئا فشيئا، نظرا لما قامت به الدول التي تعاقبت على السلطة في المنطقة من تأسيس المدن والعمل على النهوض بالعمران. فبعد اختطاط ابن رستم لتيهرت، حوالي سنة160هـ، تم تأسيس مدن تنس وهنين ووهران، على يد تجار أندلسيين، في آخر القرن الثالث هـ، والمسيلة، سنة313هـ، من طرف أمراء بني حمدون، ثم أشير، سنة327هـ، على يد زيري بن مناد الصنهاجي.

ثم كان اختطاط الجزائر والمدية ومليانة، في أوسط القرن الرابع هـ، على يد بلقين بن زيري، وقلعة بني حماد، سنة398هـ. فكانت هذه الانجازات العمرانية تشكل مجالا واسعا لاختلاط الأهالي بالعرب، وتوسع حركة التعريب في المغرب الأوسط، لما يوجد من ارتباط

وثيق بين الازدهار الثقافي والتطور العمراني. فتكاثر المدن يؤدي الى تزايد تحول المجتمع البدوي أو الريفي الى مجتمع حضري، ويشكل الاطار الأمثل للاشعاع الفكري.

ويعد تأسيس تاجرارت، تلمسان الجديدة، بجانب أجادير، من طرف يوسف ابن تاشفين، خطوة حاسمة في تطور مدينة تلمسان، حيث أن المرابطين أولوها عناية خاصة، وجعلوها مقر ولاية المغرب الأوسط ، فشيدوا قصرا جعلوه مقرا للوالي، وبنوا المسجد الأعظم بازائه، وكما بني الامراء والوجهاء منازل فخمة حوله، وأصبحت المدينة الجديدة تستقطب العلماء والأدباء والتجار والعديد من الوافدين من مختلف أنحاء الدولة.

وفي عهد الموحدين تواصل التوسع العمراني بموازاة مع تزايد النشاط التجاري، من جهة، وانتشار التعريب والثقافة العربية الاسلامية، من جهة أخرى. واستفادت تلمسان الجديدة من عناية الموحدين، الذين أبقوها كمقر لولاتهم على المغرب الأوسط، وشيدوا أسوارها، محققين بذلك حصانتها. ثم ان امتداد الدولة الموحدية إلى سائر أنحاء المغرب الاسلامي أدى الى توثيق العلاقات بين مختلف المناطق، وتكثيف الاتصال بين سكانها. وأصبح كثير من العلماء والطلبة، في مختلف المناطق، يرحلون الى البلدان المجاورة، للأخذ عن علمائها، أو للتدريس والاستقرار بها.

وهكذا، فإن تلمسان لم تزل، منذ القرن الرابع هـ، تستقطب العلماء، وتتجه بخطى حثيثة نحو النمو الثقافي والحضاري، وقد عبر البكري عن ذلك، في وصف تلمسان القديمة(أجادير) بقوله:" ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله".(1) فهذا أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي الأصل وأحد كبار المحدثين والفقهاء في عصره، ينزل بتلمسان وينشر بها العلم إلى أن توفي بها سنة402هـ.(2) وهذا أبو جعفر أحمد بن غزلون، من علماء الأندلس يستقر بها، ويأخذ عنه طلبة العلم إلى وفاته بها سنة524هـ.(3) ومن رجال العلم والصلاح الذين اشتهروا بها أبو محمد عبد السلام التونسي، الذي قدم من أغمات ونزل ودرس بها، فكان من تلامذته عبد المؤمن بن علي الكومي، مؤسس دولة الموحدين، وتوفي حوالي سنة530هـ.(4) ومنهم عبد العزيز بن الدباغ، من أهل مرسية، رحل من الأندلس إلى فاس ثم الى تلمسان، فاستوطنها، وكان فقيها محدثا، وتوفي بها سنة602هـ.(5) ومن أشهر العلماء، أبو عبد الله بن عبد

الرحمن التجيبي من أهل إشبيلية، نزل تلمسان وأخذ عنه كثير من طلبة العلم، وتوفي بها سنة610هـ.

ولا شك أن توافد الكثير من رجال العلم على مدينة تلمسان أدى إلى تكوين أجيال من العلماء من بين أهلها أمثال ابن أبي قنون، المتوفي سنة557هـ(7) وأبي عبد الله بن عبد الحق، المتوفي سنة625هـ(8)، وغيرهم ممن نبغوا في مختلف العلوم. كما أن كثيرا من علماء تلمسان رحلوا إلى أقطار أخرى واستقروا بها، أمثال الأديب أبي علي ابن الأشيري، المتوفي بعد سنة569هـ(9) وأبي موسى عيسى بن عمران، الذي ولي القضاء بإشبيلية ومراكش، وتوفي بهذه المدينة سنة578هـ(10)، وابنه أبي الحسن علي، الذي ولي قضاء فاس وتوفي سنة 594هـ(11)، وأبي عبد الله ابن مروان، الذي ولي قضاء مراكش، وبها توفي سنة601هـ(12)، وابنه أبي عمران موسى، الذي ولي القضاء بمالقة وغرناطة، وتوفي بها سنة608هـ(13)، و أبو عبد الله الفازازي، الذي ولي القضاء بقرطبة ومرسية ثم بغرناطة، وبها توفي سنة621هـ(14). وكان كل هؤلاء، وغيرهم ممن لم نذكرهم، قد برعوا في كثير من العلوم، وقاموا، إلى جانب وظيفة القضاء، بمهمة التدريس، فساهموا مساهمة ملحوظة في الاشعاع الثقافي. غير أن النمو الثقافي لم يبلغ أوجه بتلمسان إلا في عهد ملوك الدولة الزيانية.

هذا، ويظهر مما سبق ذكره أن نشأة مراكز الاشعاع الثقافي تتطلب توفير بعض الشروط، وقد يستغرق ذلك مدة يتفاوت طولها حسب الموقع الجغرافي، والعوامل السياسية، وأهمية النمو العمراني، وكثافة التبادل التجاري والعلاقات الاجتماعية، وغير ذلك. وتكتسي مرحلة النشأة هذه أهمية خاصة، حيث أنها تتسم ببعض الخصائص، التي تشكل غالبا الطابع الذي يميز تلك المراكز. وفي هذا الصدد، يلاحظ أن الحياة الثقافية بتلمسان، بمراحلها الأولى، تمتاز بالتركيز على العلوم الدينية وبخاصة الحديث والفقه، والعلوم اللسانية، من لغة ونحو وصرف وبلاغة وشعر ونثر. ويتجلى الاهتمام بالجانب الديني في انتشار تيار التصوف بتلمسان وناحيتها آنذاك، وخاصة بعد وفاة الولي أبي مدين شعيب بن الحسين الاشبيلي، ودفنه سنة594هـ، برابطة العباد، خارج تلمسان، وذيوع فكره الصوفي.(15)

غير أن الأوضاع تغيرت بصفة جدرية عندما تأسست الدولة الزيانية، عل يد

يغمراسن بن زيان العبد الوادي سنة 633 هـ. وذلك أن تلمسان أصبحت احدى عواصم المغرب الاسلامي الأربع، إلى جانب تونس وفاس وغرناطة ، وصارت مقر السلطة المركزية في المغرب الأوسط، وفيها بلاط ملوك هذه الدولة ، الأمر الذي من شأنه أن يضاعف عوامل الرقى والنمو في المدينة، ويمكنها من توفير مزيد من وسائل النمو الثقافي من تشييد مؤسسات التعليمية وجلب مشاهير العلماء والأدباء وغير ذلك.

ويلاحظ، في مرحلة الأولى تمتد إلى أواخر القرن السابع هـ، أن عاصمة الزيانيين شهدت توسعا عمارنيا ملحوظا، نتيجة التضخم السكاني الذي نتج عنه تأسيس الدولة، وتزايد عدد المهاجرين القادمين من الأندلس ، من جراء تفاقم الخطر المسيحي بها ، وسقوط كثير من أمصارها في قبضة الاسبان، مثل قرطبة واشبيلية وبلنسية ومرسية. ومن بين الأندلسيين الذين نزحوا إلى تلمسان آنذاك، أبوا بكر بن الخطاب المرسي، الأديب الكاتب، الذي أسند اليه يغمراسن رئاسة ديوان الانشاء، وتوفي سنة 686هـ(16) . كما أن هذا الأخير أولى عنايته بتشجيع رجال العلم، وحرص على استقدام مشاهير العلماء، وأمثال أبي اسحاق التنسي، متوفي سنة680هـ، والذي استقدمه من مدينة تنس وطلب منه أن يستقر بتلمسان ليستفيد الطلبة فيها من غزارة علمه، وهو مؤلف شرح التلقين لعبد الوهاب، في عشرة أجزاء الذي ضاع أثناء الحصار الكبير(17) ، كما استقدم أخاه أبا الحسن التنسي، المتوفي سنة 706هـ، الذي كان مختصا في التعاليم ، وهو استاذ الابلي وغيره .(18)

وفي هذه المرحلة، امتاز النمو الثقافي بمساهمة كثير من أهل تلمسان، وبلوغ بعضهم مستوا عال من النبوغ والابداع. ومن أشهرهم ابو اسحاق التلمساني المتوفي سنة 690هـ بسبتة ، صاحب الأرجوزة الشهيرة في الفرائض(19)، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس، المتوفي سنة708هـ بغرناطة، الذي قال عنه يحي بن خلدون" شاعر المائة السابعة" .(20) ويمكن اعتبار هذه المرحلة بداية عهد الازدهار الثقافي بتلمسان.

وذلك أن القرن الثامن الهجري شهد تقدما سريعا في سائر المجالات الحضارية بتلمسان، وأن الملوك الزيانيين ضاعفوا الجهود لتوفير مختلف شروط النمو، وأصبحوا يولون عناية خاصة للنشاط الثقافي والفني والانجازات العمرانية. ففي أوائل عهد أبي حمو موسى الأول بنيت بتلمسان أول مدرسة في المغرب الأوسط، وأسند التدريس بها للأخوين أبي زيد

و أبي موسى ابني الإمام، وكانا عالمين جليلين، قدما من مدينة برشك، واستقرا بتلمسان، فأخذ عنهما جماعة وافرة من طلبة العلم منهم، الابلي وأبو عبد الله الشريف والمقري الكبير وسعيد العقباني وابن مرزوق الجد وغيرهم ممن ذاع صيتهم في مختلف الانحاء. وقد ذكر أحمد بابا التنبكتي أن هاذين العالمين الأخوين" كانا يذهبان الى الاجتهاد وترك التقليد" (21)، الأمر الذي يضفي على تعليمهما طابع الجدة والتفتح وحرية الرأي والاتجاه نحو التحقيق والبحث.

وفي عهد أبي تاشفين الأول بنية المدرسة التاشفينية الشهيرة، التي أشاد بذكرها المؤرخون، ووصفوا ما امتازت به من إتقان تشييدها وجمال زخارفها، والعناية بأساتذتها. فكان الملوك الزيانيون يقدمون المنح للطلبة، ويدفعون الرواتب للأساتذة، ويحرسون على تزويد هذه المؤسسات التعليمة بالمكتبات الغنية. ثم حظيت تلمسان، خلال القرن الثامن هـ ببناء مدرسة العباد، أيام استيلاء ابي الحسن المريني عليها، والمدرسة اليعقوبية، التي أسسها أبو حمو موسى الثاني، تخلبدا لذكر أبيه أبي يعقوب ، وعين للتدريس بها أباعبد الله الشريف،أحد كبار علمائها، وأولاها عنايته الخاصة، كما شمل اهتمامه بالعلم الجامع الأعظم، الذي اقام فيه مكتبة أودع فيها عدد كبير من المخطوطات. فكان بلاط أبي حمو الثاني ميدانا خصبا للازدهار الآداب والعلوم، كما يتجلى ذلك من خلال حفلات الميلاد النبوي الشريف التي كان يعني باقامتها .(22)

ويبدوا أن هذه الانجازات لم تأت صدفة أو لمجرد رغبة الملوك في تخليد ذكرهم، بل اقتضاها النمو الثقافي الذي شمل اقطار المغرب، وقد تمت انجازات مماثلة، خلال تلك الفترة في تونس وفاس، مما يجعلنا نعتقد أن بلاد المغرب كانت كلها ، آنذاك، تعرف نهضة ثقافية قوية، مثلما كان الأمر في أقطار أخرى بأروبا، وبخاصة ابطاليا. لذا فليس من الغريب أن يشهد القرن الثامن هـ نبوغ عدد كبير من رجال العلم والأدب، وبروز انتاج ثقافي غزير، يحمل طابع الاجتهاد والابداع، ويخص سائر المجالات، حتى الرياضيات والفلك والطب، التي لم تحظ قبل ذلك بكثير من التفات العلماء في بلاد المغرب.

ومن العلماء الذين كان لهم أثر بالغ في ارساء دعائم هذه النهضة، أبو عبد الله الابلي(681 - 757 هـ)، الذي درس التعاليم على أبي موسى ابن الامام وأبي العباس ابن

البناء المراكشي وغيرهما،ونبغ في الفلسفة والمنطق والرياضيات وسائر العلوم العقلية،وقضى حياته في خدمة العلم، وكون جيلا من كبار العلماء، أمثال عبد الرحمن ابن خلدون وأخيه يحي و أبي عبد الله الشريف وأبي عبد الله ابن النجار والمقري الكبير وسعيد العقباني وابن الصباغ المكناسي(23). واليه يرجع الفضل في اتجاه عبد الرحمن ابن خلدون نحو فلسفة التاريخ وعلم العمران البشري وما يمتاز به الفكر الخلدوني من تحكيم العقل في مجال العلوم الاجتماعية(24). ويلمس الباحث نفس الاتجاه عند مطالعة كتاب مفتاح الوصول في علم الأصول لأبي عبد الله الشريف(25)، الأمر الذي يدعونا إلى دراسة انتاج علماء هذه النهضة وتقييمه وتحقيقه ونشره. وعلى كل، فإن ما نشر منه إلى يومنا هذا، وهو قليل جدا، ينم عن مستوى راق وملكة قوية للمادة العلمية ومنهجية سليمة. فمن ذلك كتاب المسند لابن مرزوق الخطيب، الذي تناول تاريخ عصره، من الناحية الحضارية، فبرع في معالجة كثير من الجوانب الأثرية والفكرية والسياسية، ما جعل هذا الكتاب"بالمقارنة مع المصادر الأخرى عن الفترة يفوقها من حيث أنه يعكس البنى العقائدية لتلك الفترة ومفاهيمها الروحية وعقليتها ونمطها الحضاري"(26). ومن ذلك كتاب بغية الرواد ليحي بن خلدون، نزيل تلمسان، والمتوفي بها سنة780هـ، وهذا الكتاب أيضا يحمل طابع منهجية التاريخ الكامل، اذ أنه يشمل على فصول تتناول الاطار الجغرافي لمدينة تلمسان، ثم تراجم علمائها، ويلي ذلك عرض مختصر حول الدول التي تعاقبت عليها، ثم عرض اتنولوجي حول قبائل البربر عامة، وقبيلة بني عبد الواد خاصة، وينتقل بعد ذلك إلى ذكر أخبار الملوك الزيانيين إلى زمانه(27).

فهذه عينات تشهد على ازدهار ثقافي متميز في شتى المجالات.(مما يؤسف له جدا أن معظم انتاج هذه الفترة لم يحظ باقبال الباحثين على دراسته وتحقيقه، حيث أن بعضه فقد وضاع، وبقي البعض الآخر مودعا في غياهب المكتبات، ينتظر من يكتشفه ويخرجه الى النور.(من العلماء الذين نبه ذكرهم في هذه الفترة ،لم يسبق الاشارة اليهم، أبو عبد الله ابن هدية، المتوفي سنة735هـ، والذي شغل منصب كاتب السر لأبي تاشفين الأول وولي قضاء تلمسان، وألف شرح رسالة لابن خميس،وتاريخ تلمسان(28). ومنهم أبو عبد الله بن النجار، المتوفي سنة 749هـ، والذي درس التعاليم على الابلي وأبي العباس بن البناء المراكشي وأبي عبد الله بن هلال، شارح المجسطي، ونبغ في علم الفلك، وهو استاذ أبي الحسن علي بن

الفحام، صاحب المنجانة الشهيرة(29). ومنهم سعيد العقباني، المتوفي سنة 811 هـ ، والذي نبغ في مختلف العلوم ، من عقائد وتفسير وفقه وأصول ومنطق وهندسة وحساب، وترك فيها تآليف عديدة، و ولي القضاء في بجاية ومراكش و سلا و وهران وهنين وتلمسان(30). ومنهم أبو الفضل محمد بن مرزوق الحفيد، الموفي سنة 842هـ، و الذي أخذ على سعيد العقباني وعبد الرحمن بن خلدون وعدد كبير من علماء المغرب والمشرق، وألف عشرات الكتب في مختلف العلوم(31). ومنهم أبو عبد الله الحباك، المتوفي سنة 867هـ، العددي ، الفرضي، الفلكي، ومؤلف شرح تلخيص ابن البناء، وأرجوزة بغية الطالب في علم الاسطر لاب، وشرحها، وشرح التلمسانية في الفرائض(32).

ومنهم محمد بن يوسف السنوسي، المتوفي سنة 895 هـ، صاحب التآليف الشهيرة في العقائد والحديث والتفسير والمنطق والجبر والاسطر لاب والفرائض وغيرها(33). ومنهم أبو عبد الله التنسي، المتوفي سنة 899هـ، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، ومؤلف كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف آل زيان(34). ومنهم ابو العباس أحمد بن زكري ، المتوفي سنة 899هـ، الحافظ، الأصولي، ومؤلف بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب ، وشرح الورقات للجويني، وغيرهما(35). ومنهم محمد بن عبد الكريم المغيلي، المتوفي سنة 909هـ، والذي نبغ في التفسير والحديث والفقه والمنطق، واشتهر بموقفه من يهود توات، وبرحلته الطويلة الى بلاد السودان، اتصل أثناءها بسلطان كانو، كتب له رسالة فيما يجب على الملوك، كما زار بلاد التكرور، وقام خلال رحلته بالحض على تغير المنكر، ونشر أحكام الشرع(36).

والجدير بالملاحظة أن معظم هؤلاء العلماء باشروا التدريس مدة طويلة من حياتهم، الى جانب التأليف ووضائف أخرى كالقضاء، والافتاء، وتكون على يدهم عدد كبير من طلبة العلم الوافدين من مختلف الأنحاء ، وأن كثيرا منهم رحلوا إلى بلدان أخرى في المغرب الاسلامي أو المشرق أو بلاد السودان، فكان لهم فيها أثر محمود في نشر العلم وخدمة الثقافة العربية الاسلامية، مما جعل تلمسان ، في مرحلة ازدهارها الحضاري، تشكل أهم مركز اشعاع ثقافي بالجزائر.

وبعد، فهذه عينات ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر، وغرضنا من ذلك الاشارة

الى أهمية النهضة الثقافية التي كان انطلاقها خلال القرن السابع هـ، وازدهرت في القرن الثامن، ثم دخلت خلال القرن التاسع هـ، في فترة استقرار نسبي واتجاه نحو التقليد، في بعض المجالات، لعوامل مختلفة أدت في القرون التالية الى تناقص تدريجي في المجال الثقافي شمل سائر أنحاء المغرب. غير أن تلمسان لم تفتأ تقوم بدور اشعاع محدود أثناء العهد العثماني وفترة الاحتلال الاستعماري، بما امتازت به من الحفاظ على الثقافة الوطنية وما تتسم بـه من أصالة، وبخاصة في مجال العادات والتقاليد والفنون الشعبية والقيم الاسلامية.

الهوامش:

1- البكري، المسالك والممالك (نشرة دي سلان) ص76- 77.

2- انظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3 ص 116-124 وج2، ص 623-624، وابن فرحون، الديباج المذهب، ص35: يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1 (تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ج1، ص127، 158.

3- انظر: بغية الرواد، ج1، ص 127، 158. ابن بشكوال، الصلة، ج1، رقم 169، ص77.

4- عن عبد السلام التونسي، انظر: ابن الزيات التادلي، التشوف، رقم 13، ص88- 91. ابن قنفذ، أنس الفقير، ص107- 108. بغية الرواد، ج1، ص 125-156. ابن مريم، البستان، ص122.

5- انظر: الذخيرة السنية، ص40.

6-انظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص171- 172. المقري، نفح الطيب، ج2، ص360.

7- انظر: ابن الزبير، صلة الصلة، رقم294. بغية الرواد، ج1، ص 101-102-103. الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص258. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص72.

8- انظر: ابن الأبار، التكملة، رقم 1628. بغية الرواد، ج1، ص112- 113- 144. معجم أعلام الجزائر، ص77.

9- عن ابن الأشيري، انظر: التكملة، ج1، ص270. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت (تحقيق عبد الحميد حاجيات)، ص85.

10- انظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص245- 246. بغية الرواد، ج1، ص101-102-134.

11- انظر: المعجب، ص246. بغية الرواد، ج1، ص101.

12- انظر: المعجب، ص246،312. بغية الرواد، ج1، ص113، 145..

13- انظر: بغية الرواد، ج1، ص113.

14- انظر: المعجب، ص 312. بغية الرواد، ج1، ص113.

15- عن أبي مدين شعيب الإشبيلي، انظر: ابن قنفد، أنس الفقير، ص11 - 20. التشوف، ص316 - 325. بغية الرواد، ج1 ، ص125،156. البستان،ص108 - 114.

16- انظر ابن الخطيب، الاحاطة ، ج2 ، ص275 - 278. بغية الرواد، ج1، ص129، 160. البستان ص227.

17- انظر: بغية الرواد، ج1، ص114، 146. البستان، ص 66-68. نيل الابتهاج، ص 35- 37.

18- انظر: ابن مرزوق، المسند، ص266، 479. بغية الرواد، ج1، ص114، 146.

19- انظر: الاحاطة، ج1، ص181. الديباج المذهب، ص90. بغية الرواد، ج1، ص109، 142.

20- انظر: بغية الرواد، ج1، ص109، 142. طاهر توات، ابن خميس، د.م. ج. الجزائر، 1991.

21- نيل الابتهاج، ص166، س31. انظر أيضا: بغية الرواد، ج1، ص130، 161.

22- انظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، ص159- 183.

23- عن الابلي، انظر: ابن خلدون، التعريف بابن خلدون، ص21- 23، 32- 39. بغية الرواد، ج1، ص17- 18، 24- 25، 120.

24- انظر: N. Nassar, Le maitre d'Ibn khaldoun al- Abili, dans studia Islamica, XX, 1964, p p. 103-115.

25- انظر: أبو عبد الله الشريف، مفتاح الوصول في علم الأصول، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، بدون تاريخ.

26- ابن مرزوق الخطيب، مقدمة المحققة ماريا خيس بيغيرا، ص77.

27- انظر: يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، مقدمة المحقق عبد الحميد حاجيات، ص58- 62.

28- عن ابن هدية، راجع: بغية الرواد، ج1، ص116. نفح الطيب، ج7، ص158- 159.

29- عن ابن النجار، انظر: بغية الرواد، ج1، ص20، 26، 119. التعريف بابن خلدون، ص48. نفح الطيب، ج7، ص160-162. البستان، ص153، 154.

30- انظر: بغية الرواد، ج1، ص123، 155. الديباج المذهب، ص124، 125. نيل الابتهاج، ص125- 126. البستان، ص106-107.

31- انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ص50. نيل الابتهاج، ص293. البستان، ص201-214. معجم أعلام الجزائر، ص290، 292.

32- انظر: البستان، ص219- 220. نيل الابتهاج، ص316. معجم أعلام الجزائر، ص119- 120.

33- انظر: البستان، ص237- 248. التعريف الخلف، ج1، ص176. معجم أعلام الجزائر، ص180-181.

34- انظر: الضوء اللامع، ج8، ص120. تعريف الخلف، ج1، ص161. نيل الابتهاج، ص299. البستان، ص248- 249. معجم أعلام الجزائر، ص85.

35- انظر: البستان، ص38- 41. معجم أعلام الجزائر، ص159.

36- انظر: البستان، ص253- 257. تعريف الخلف، ج1، ص166. معجم أعلام الجزائر، ص308.